حاضرة تمنطيط بمنطقة توات ومكانتها العلمية والاقتصادية خلال القرنيين 09 و10 هـ/15 و16م

The Urban Centre of Tamentit in the Region of Tuat and Its Scientific and Economic Position during the 9th and 10th Centuries Hegira (15th and 16th C. AD)

*اسم ولقب المتدخل: مبارك جعفري

الدرجة: أستاذ التعليم العالي

مؤسسة الانتماء: جامعة أحمد دراية .أدرار البريد الإليكتروني: mebarek76@univ-adrar.dz

الملتقى الدولي الأول الحواضر الجزائرية التأسيس والأدوار، جامعة أدرار 04 .05 مارس 2020.

الملخص:

تعد منطقة توات بالجنوب الجزائري من بين المناطق التي عرفت استقرارا مبكرا للإنسان، بحكم موقعها الاستراتيجي الذي يتوسط الصحراء، وبوصفها منطقة عبور والتقاء للقوافل التجارية وقوافل الحجيج، وبفضل الإنسان الذي تمكن من تحدي جميع المعيقات والتفاعل مع محيطه الطبيعي وبناء حضارة لا تزال معالمها من قصور، وفقارات، وزوايا، وخزائن، وإنتاج علمي وثقافي شاهدة إلى الآن. كما برز بتوات الكثير من الحواضر العلمية ممن تعدت شهرتها الآفاق وتناولتها كتابات الرحلة والمؤرخين، مثل: بودة، وتسابيت، وتيميمون، وتنيلان، وملوكة، وزاوية كنته...وغيرها ولعل من أبرزها وأهمها حاضرة تمنطيط، عاصمة توات لقرون، هذه المدينة التي ورد ذكرها في الكثير من كتابات الرحالة والمؤرخين، كما عرفت بقصورها التاريخية، مثل: وقصورها مثل: "أولاد داوود"، و"أولاد علي بن موسى"، و"أولاد يعقوب"، و"أولاد ميمون"، و"تاهقة"، و"غمر أقبور" و"تايلوت"، و"توفاغي"، و"أولاد أحمد" و"أولاد اهمالي"، و"أولاد يحي". وعلمائها ممن تعدت شهرتهم الآفاق مثل: الشيخ عيسى بن محمد البطوي، والشيخ أبو يحيى محمد المنياري، والشيخ يحي بن يدر بن عتيق التدلسي، و عبد الله بن أبي بكر العصنوني وابن أخيه الشيخ سالم بن محمد بن أبي بكر العصنوني، والشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني والشيخ ميمون بن عمرو بن محمد الباز...وغيرهم. إلى جانب أسواقها وحرفها ومساجدها وخزائنها، كما أخذت شهرتها أيضا بسبب الجدل الفقهي الذي وقع بين

اثنين من كبار علمائها خلال القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي، وهما المغيلي والعصنوني فيما يعرف بنازلة اليهود في تمنطيط. ورغم ما كتب عن المدينة من طرف القدماء والمحدثين إلا أنه في نظرنا لم تأخذ حقها من الكتابة، مقارنة بمكانتها ومختلف الأدوار التي قامت بها.

الكلمات المفتاحية:

تمنطيط، توات، القصور، الحواضر الصحراوية، المغيلي، العصنوني، اليهود، تجارة القوافل، الفقارة، خزائن المخطوطات.

Abstract :

Tuat is considered as one of the regions which knew an early ettlement of the man due to its strategic location. It was also considered as a transit and a meeting area for the trade caravans and the caravans of pilgrims. Thanks to the man who could challenge all the obstacles and to interact with his environment and built a civilization whose features, such as ksour, foggara, Zawaya and khizanat (traditional libraries) and a scientific and cultural heritage are still witnesses until now. It is also important to mention that a number of scientific urban centres emerged in the region of Tuat whose fame went beyond the geographical boundaries of region and which had been dealt with in the writings of explorers and historians. Amongst these centres were Bouda, Tsabit, Timimoun, Tinilane, Mlouka, Zawyet Kunta, etc. The urban centre of Tamentit had been the most important for centuries, the city of Tamentit was mentioned in a number of writings of travelers and historians. This urban centre was also known by its ksour such as Ulad Dawuud, Ulad Ali ben Musa, Ulad Yaqub, Uld Mimoun, Tahga, Ghmer Aqbur, Taylut, Tufaghi, Ulad Mhamad, Ulad Ahmali and Ulad Yahya. Besides, the city was famous of its prominent Muslim scholars such as Shaykh Issa ben Muhammad al-Batwi, Shaykh Abu Yahya Muhammad al-Minyari, Shaykh yahya ben Yedder ben Atiq a-Tadelsi, Abdullah ben Abi Bakr al-Asnuni and his nephew Shaky Salem ben Muhammad ben Abi Bakr al-Asnuni, Shaykh Muhammad ibn Abdulkareem al-Maghili a-Tilimsani, Shaykh Maymoun ben Amr ibn Muhammad al-Baz, and others. In addition to its markets, crafts mosques and Khizanat of manuscripts, the city gained its reputation from the juristic controversy that took place between two of its outstanding figures during the ninth century Hegira, the fifteenth century AD, in what is known by Nazilat al-Yahud in Tamentit (the fatwa on the Jews) between al-Asnuni and al-Maghili. Despite what has been written about the city of Tamentit by the ancient and contemporary historians, in my opinion, it did not take what it deserves with regard to its position and the important roles it played.

Keywords: Tamentit, Tuat, Ksour, Saharan Urban Centres, al-Maghili, al-Asnuni, Jews, Caravan trade, Foggara, Manuscripts.

1-المقدمة:

تعتبر منطقة توات بالجنوب الجزائري من بين المناطق التي عرفت استقرارا مبكرا للإنسان، بحكم موقعها الاستراتيجي الذي يتوسط الصحراء، وبوصفها منطقة عبور والتقاء للقوافل التجارية وقوافل الحجيج، وبفضل الإنسان التواتي الذي تمكن من تحدي جميع المعيقات والتفاعل مع محيطه الطبيعي، وبناء حضارة لا تزال معالمها من قصور، وفقارات، وزوايا، وخزائن، وإنتاج علمي وثقافي شاهدة إلى الآن.

كما برز في المنطقة الكثير من القصور التي ضمت تجمعات سكانية كبيرة وتحولت إلى حواضر علمية واقتصادية ولعل من أهمها وأبرزها حاضرة تمنطيط، التي كانت عاصمة لتوات لقرون، واشتهرت كأحد أهم الحواضر الصحراوية، وتكمن إشكالية الدراسة في إبراز الدور الحضاري لمدينة تمنطيط وإبراز أهميتها خلال القرنيين 09 و10 الهجريين 15 و16 الميلاديين، وتكمن أهمية الموضوع من أهمية هذه الحاضرة ودورها الحضاري سواء العلمي أو الاقتصادي، ونهدف من خلال هذه الدراسة لإثارة فضول الطلبة والباحثين وحثهم على تناول التاريخ المحلي، بمختلف فروعه وتخصصاته، ومنه تاريخ الحواضر والمدن، من حيث نشأتها وتطورها عبر الزمن، وخاصة إن كانت الدراسة حول مدينة بحجم مدينة تمنطيط، لم تأخذ حقها بعد من الدراسة، وسنتبع في هذه الدراسة المنهج التاريخي الإسترادادي من خلال جمع المعلومات عن هذه الحاضرة والتعريف بها في تلك الفترة، ويكون تناولنا للموضوع وفق الخطة الآتية:

1. مقدمة.

2. تمنطيط النشأة التسمية والموقع.

3. المدينة في كتابات الرحالة والمؤرخين.

4. قصور المدينة.

5. علماء المدينة.

6. النشاط الاقتصادي للمدينة.

7. اليهود في المدينة.

8. خاتمة.

9. قائمة المصادر والمراجع.

2. تمنطيط النشأة التسمية والموقع:

هناك اختلاف بين المؤرخين حول تأسيس المدينة وعمارتها، حيث يذكر مؤرخ المدينة أن أول من نزل بها اللمتون من بقايا المرابطين، الذين جاءوا من المغرب الأقصى بعد سقوط دولتهم على يدي الموحدين، في القرن السادس الهجري، حيث فروا جنوبا إلى أن بلغوا أرض توات، فعلموا أنهم في مأمن، لأن الأرض جدبه، ولا مطمع لأحد فيها، وأول قصر بنوه بها يسمى (تَيْلوتْ) وتعني بالعربية المزود، ثم بنو قصرا آخر يسمى (اتعالى يوسف) ويعرفون بأولاد يعقوب (ابن بابا حيدة، ص 16)، أما برنارد سافرو(Bernard Saffroy) فيذكر أن المدينة تأسست سنة 472م، و بنا اليهود أول قصر لهم ويدعى (أولاد همال) مع معبد يهودي سنة 517م (Bernard Saffroy, 1994, p4). كما أنه عثر في مسجد أولاد همالي على لوحة نقش فيها تاريخ 517م مما يرجح أن القصر تم بناؤه في تلك السنة (بن عبد الله، 2013، ص 99)، بينما يقول التمنطيطي صاحب درة الأقلام ان عمارة المدينة والمنطقة والتي هي عليها الآن كانت من سبعمائة سنة قبل الهجرة وأنها كانت عامرة قبل الاسلام (التمنطيطي، درة الأقلام، ص3)، كما تذكر بعض المصادر، أنه وجد في تمنطيط محراب يحمل تاريخ 106 هـ 725م، مما يدل على أن عمارة المدينة كانت قبل القرن السادس الهجري(.Martin, 1923, p81. بن عبد الله، 1976، ص195)، وهو نفس ما ذهب إليه النقيب "لو" (LO) في الدراسة التي كتبها حول الفقارة بتوات حيث يذكر أن أحد الأشخاص وكان مطاردا من طرف أحد ملوك المغرب نهاية القرن الأول الهجري نزل بقصر تمنطيط وحفر بها أول فقارة، والمسماة حالياً بـ (هنو) (حوتية، 2007، ص 87). وما يمكن قوله بهذا الخصوص أن المدينة ضاربة في التاريخ وقديمة من حيث التأسيس لكن لا يوجد تاريخ دقيق ومتفق عليه لتأسيس المدينة وربما تعرضت خلال فترات لما كانت تتعرض له أغلب المدن الصحراوية من الظهور ثم الاختفاء، وأن الأمازيغ الذين اندفعوا جنوبا هم من أسسوا المدينة خاصة أن أغلب قصورها ومعالمها تحمل أسماء أمازيغية زناتية بالضبط، واستبعد أي دور لليهود في تأسيسها، لكنهم قدموا إليها بعد اشتهارها كمركز تجاري كبير وسط الصحراء بداية من القرن السادس الهجري.

وأما عن اصل التسمية فهناك روايتان الأولى ذكرها ابن بابا حيدة مؤرخ المدينة وهي: أن اسم تمنطيط هو اسم اعجمي زناتي مركب من كلمتين هما "اتما" وتعني النهاية، و"تط" تعني العين بالعربية (ابن بابا، ص 15)، وهناك رواية آخر لمعنى تمنطيط، وهي: أمان (الماء) وتيت

(العين) بحيث يكون مجموعهما أمانتيت، أي عيون الماء لكثرة المياه بالمنطقة، ثم تحولت إلى تامنتيت أو تمنطيط (بن سويسي، 2008، ص 31).

وعن موقعها فقد احتلت تمنطيط موقعا متميزا وسط قصور توات ووسط الصحراء وذكر ابن خلدون أنها آخر قصور توات لجهة المشرق (ابن خلدون، 2001، ج 7، ص 76)، وربما لهذا الموقع المتميز والذين كان في ذلك العصر علامة فارقة كون المسافة بينها وبين كبرى المدن الكبرى في ذلك العصر كانت متساوية تقريبا، فالمسافة بينها وبين فاس هي نفس المسافة بينها وبين تمبكتو وهي نفس المسافة بينها وبين مدينة الجزائر وهي نفس المسافة بينها وبين غدامس (جعفري، 2016، ص 73)، ويمكن تحديد موقعها اليوم بأنها احدى مدن توات الوسطى يحدها من الشمال زاوية سيد البكري إحدى قصور تيمي، ومن الجنوب قصور بوفادي، وهي تبعد عن مقر ولاية أدرار حاليا بحولي 12 كلم، وتبعد عن واد مسعود حوالي 35 كلم شرقا، وأما موقعها الفلكي فهو بين خطي عرض 27.46° شمالا و0.15 ° غربا (بن سويسي، 2008، ص31).

3. المدينة في كتابات الرحالة والمؤرخين:

تناولت كتب التاريخ والرحالة المدينة، ومن أشهر من كتب عنها المؤرخ ابن خلدون في كتابه العبر، اين ذكرها في عدة مواضع، مع اختلاف في كتابتها: " تامنطيت، تمنطيت، تمطيت"، فعند ذكره لعرب المعقل، قال: "الذين ملكوا قصور الصحراء التي اختطتها زناته مثل قصور السوس غربا ثم توات ثم بودة ثم تامنطيت ثم واركلان ثم تاسبيت ثم تيكورارين شرقا" (ابن خلدون، 2001، ج 6، ص 78)، وذكرها مرة أخرى بقوله: "وأنها معدودة في جملة بلاد المغرب، مثل: بودة، وتمنطيت في قبلة المغرب الأقصى وتسابيت وتيكورارين في قبلة المغرب الأوسط" وبنفس الاسم في موضع آخر "ومن قبائل مضغرة أيضا بصحراء المغرب كثيرون نزلوا بقصورها واغترسوا شجرة النخل على طريقة العرب، فمنهم بتوات قبلة سجلماسة إلى تمنطيت آخر عملها"(ابن خلدون، 2001، ج6، ص ص 131، 158)، وذكرها تمطيت في حديثه عن واد غير: "يقطع العرق على سمته إلى أن ينتهي إلى البردة، ثم بعدها إلى تمطيت، ويسمى لهذا العهد كير وعليه قصورها" (ابن خلدون، 2001، ج6، ص 134). أما مؤرخ المدينة أبن بابا فذكر أنها قاعدة اجتمع فيها العلم والامارة والديانة والرياسة وبها الاسواق والصنائع والتجارات والبضائع وكاد ان لا يستغنى عنها غني ولا زاهد لما فيها من الدين والبركات والمنافع والحاجات فهي مورد الركبان ومحشر العربان ورئيسة البلدان (ابن بابا، ص 14)، وتناولها الناصري

السلاوي في كتابه "الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى" عند حديثه عن قبائل المعقل العربية : "أَقَامَ بَنو معقل هَؤُلَاءِ فِي القفار وتفردوا فِي الْبَيْدَاء فنموا نموا لاكفاء لَهُ وملكوا قُصُور الصَّحرَاء الَّتِي اختطها زناتة بالقفر مثل قُصُور السوس غربا ثمَّ توات ثمَّ بودة ثمَّ تمنطيت ثمَّ واركلان ثمَّ تاسبيبت ثمَّ تيكرارين شرقا" (الناصري السلاوي، 1955، ج2، 178)، وقال عنها الرحالة رولفس أنها أهم مدن توات، لا زالت تحتفظ بصناعاتها وتجارتها (Malte BRUN, 1866, p103). اما مولاي أحمد الطاهري الادريسي فذكر أنها أكبر قصور توات كانت قديما معقلا لليهود ولما أجلاهم الله صارت مركز إشعاع في العلم والمعرفة (الطاهري الادريسي، ص 160)، وأعتبرها المؤرخ المهدي البوعبلي عاصمة الصحراء الخالدة (البوعبدلي، 1986، ص 83).

4. قصور المدينة:

عرفت المدينة منذ القديم بكثرة قصورها وعمرانها، المتصل ويشير إلى ذلك ابن خلدون بقوله: "وهو بلد مستجر في العمران (ابن خلدون، 2001، ج7، ص76)، وذكر ابن بابا حيدة مع شيء من المبالغة أنه كان بها ثلاثمائة وستة وستون قصرا وفقارة (ابن بابا، ص 14)، ومن أهم قصور المدينة قصر أولاد همالي الذي بني في القرن السادس الميلادي، وقصر أولاد ميمون الذي شيد في القرن الثاني الهجري الثامن الميلادي وهو لقبيلة أولاد نسلام، وقصر تايلوت الذي بني بين سنتي 541هـ/1146م، و542هـ/1147من طرف الأمازيغ من سلالة يوسف بن تاشفين و(تَيْلوتْ) تعني بالعربية المزود، وفي نفس الفترة شيد قصر (اتعالى يوسف) وسكنه أولاد يعقوب (ابن بابا حيدة، ص 16)، وقصر أولاد علي بن موسى، وقصر بوصلاح، وقصر أولاد أحمد الي بني في سنة 716هـ/1316م ثم قصر أولاد معمر سنة 842هـ/1438م، ثم قصر أولاد يحي، وقصر أولاد داوود بن عمر الذي شيد في القرن الخامس عشر الميلادي(محمد حوتيه، 2007، ج2، ص 415، بن سويسي، 2008، ص 43). ويذكر ابن بابا أن المدينة كان طولها فرسخ، اي تقريبا ست كلومترات (ابن بابا، ص 14).

5. علماء المدينة:

بسبب شهرتها التي تعدت الآفاق انتقل إليها كثير من العلماء ومن جملة من برز منهم خلال القرنين التاسع والعاشر الهجريين نذكر:

5 ـ1. عيسى بن محمد البطوي: حل بها سنة 714هـ/1314م، ونزل أول الأمر بقصر أولاد أحمد بتمنطيط، وهناك بنا مسجداً، أم فيه الناس في صلاة الجمعة، وكان عالما فقيها تولى قضاء

الجماعة في المدينة (بكري، 2005، ص ص 62، 63)، لكن لم تذكر المصادر تاريخ حدوث ذلك كما لم نعثر على تاريخ وفاته، وربما غادر المدينة فيما بعد.

5 ـ 2 ـ أبو يحيى بن محمد المنياري(ت 840هـ/1437م): حل في تمنطيط سنة 815هـ/1412م، قادما من المغرب، وإليه يعود الفضل حسب بعض المصادر في إحضار المكاييل والموازين إلى المدينة، كما كان مدرساً ومصلحاً وقاضيا عرف بعدله توفي سنة 840هـ/1437م (ابن بابا حيدة، ص27، التمنطيطي، درة الأقلام، ص 18).

5 ـ 3 ـ الشيخ يحي بن يدربن عتيق التدلسي (ت877هـ/1472م): نزل بتمنطيط سنة 845هـ/1441م، وكان له أثر بارزا بها، حيث تصدر للتدريس والإفتاء ومن تلامذته بالمدينة الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي، والشيخ عبد الله العصنوني، كما شغل منصب القضاء، فعرف بعدله واستقامته، توفي سنة 877هـ/1472م، ودفن بمقبرة أولاد سيدي علي بن موسى بتمنطيط (التمنطيطى، درة الأقلام، ص 19، بكري، 2005، 75).

5 ـ 4 ـ عبد الله بن أبي بكر العصنوني (ت 914هـ/ 1508م) : جاء إلى تمنطيط مع عائلته عام 862هـ/1458م، قادما من تلمسان (ابن بابا حيدة، ص 31، البوعبدلي، 1986، ص 93) بعدما استقر مدة في قصر بني تامر إحدى قصور تيمي، اشتهر بعلمه، وتولى القضاء سنة 877هـ/1473م، بعد موت شيخه يحيى بن يدير التدلسي عرف بعدله وإحسانه، وخالف المغيلي في قضية هدم كنائس اليهود بتوات (ابن بابا حيدة، ص 31، التمنطيطي، درة الأقلام، ص19).

5 ـ 5 ـ الشيخ سالم بن محمد بن أبي بكر العصنوني(ت968هـ/1561م): قدم مع عمه عبد الله، كان هو الأخر فقيها وعالما أخذ عن عمه، وعن أبى زكرى وجماعة من العقبانيين، والتّلمسانيين، وأخذ أيضا عن أبى زكرياء يحيى السوسى وغيرهم، تولى القضاء في المدينة، توفي سنة968هـ/1561م (إبن القاضي، 1971، ج3 ص 103. التمنطيطي، درة الأقلام، ص 19).

الفقيه القاضى بتوات بتيمننطيت. (3) أبى محمد: عبد الله بن أبى بكر: على،. ج3، ص 103

5 ـ 6 ـ الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني(ت 909هـ/1504م): كان قدوم المغيلي إلى توات سنة (856هـ/1452م)، وأول ما نزل كان قرية أولاد سعيد في منطقة قورارة، ومنها انتقل إلى تمنطيط (الكنتي، 1985، ص ص 3، 4). وكان نزوله بأولاد يعقوب سنة 882هـ/1478م (التمنطيطي، درة الأقلام، ص 19)، وتذكر بعض الروايات أن قدومه لتمنطيط كان سنة (872هـ/1468م) وتم ذلك في حياة شيخه يحي بن يدير، الذي كان من طلبته (بالعالم، 2005،

ج1، ص 81)، وأثناء إقامته بالمدينة استهجن حال اليهود وما تمتعوا به من نفوذ وسيطرة، وأمر بهدم كنائسهم، لكن موقفه هذا اختلف مع قاضي المدينة الشيخ عبد الله العصنوني وجرى بين الاثنين سجال فقهي، ومراسلات للعلماء (الونشريسي، 1981، ص 214).

5 ـ 7 ـ الشيخ ميمون بن عمرو بن محمد الباز (ت901هـ/1496م): جاء إلى تمنطيط مع أبيه وأخيه التهامي نهاية القرن التاسع الهجري قادما من مدينة فاس بالمغرب، نزل عند أولاد محمود، وتزوج السيدة فاطمة بنت الشيخ عبد الله العصنوني، عرف بعلمه وورعه وزهده، وقعت بينه وبين فقهاء تمنطيط مراجعة فقهية حول اليمين؛ وهي إذا قال البائع أبيعك أمة ثيبا، فلما اشتراها وجدها بكر، فأفتي عامة فقهاء المدينة بعدم الرد إذا البكر أحسن من الثيب، وقالوا يكون الرد إن حدث العكس، بينما أفتى الشيخ ميمون بالرد، فامتعض الفقهاء من فتواه وجاهروه التكذيب، لأنه لم يستند في قوله إلى دليل، وهذا ما جعله يسافر إلى فاس، حيث هناك وجد الجواب عند الشيخ خليل، فاشترى كتابه بأربعين مثقال ذهبياً ثم عاد إلى توات، لذلك يعد أول من أدخل كتاب الشيخ خليل لبلاد توات، وهو أب العائلة البكرية بتمنطيط، التي تصدرت للتدريس والإفتاء والقضاء في تمنطيط لقرون (التمنطيطي، درة الأقلام، ص ص 30، 31).

5 . 8 . عبد الرحيم بن عبد الله العصنوني أبو محمد (ت 990هـ/1582م): عالم جليل كان له باع في النحو والفقه، درس في مصر وبلاد الشام، من شيوخه أبو الحسن نور الدين القرافى الأنصارى عن الأسيوطيّ، وعبد الرحمن بن عبد القادر بن فهد، وأحمد بن أحمد بن عبد الحق السنباطى، ولقى بدمشق أبا عبد الله محمد النابلسى، عاد لتمنطيط وكان من العلماء المشهورين بها في القرن العاشر الهجري، يستظهر مختصر ابن الحاجب، وألفية ابن مالك (ابن القاضي، 1971، ج3، ص 116. حجي، 1977، ص 632)

5 . 9 . محمد بن محمد بن أبي بكر العصنوني التواتي (ت. ع. 1010هـ /1602م): درس في مراكش وبلاد السودان، من شيوخه أحمد ابن القاضي الذي أجازه في الحساب والفرائض، درس في تمنطيط وبرع في مختلف العلوم.(حجي، 1977، ص 632)

6 . النشاط الاقتصادي للمدينة:.

برزت تمنطيط كمركز تجاري ومحطة هامة وسط الصحراء ومكان التقاء القوافل القادمة من الشمال والجنوب، والشرق والغرب وتناولت الكثير من المصادر هاته الأهمية فقد ذكر ابن خلدون أنها مكان تجتمع فيه القوافل ومنه تخرج لبلاد السودان (ابن خلدون، 2001، ص 76)، وأشار لهذه الأهمية التاجر الجنوي أنطونيو مالفانتي (Antonio Malfante)، الذي

وصل تمنطيط سنة850هـ/1447م، وأقام بها سنتين تقريبا، وورد على لسانه أن مضيفه في المدينة كان تاجراً غنياً، جمع كمية كبيرة من الذهب قدرها بـ 425 كلغ (نياني، 1988، ص 671) وذكر ابن بابا حيدة ان كل من عرفها من التجار كان لا يقنع إلا بسعرها(ابن بابا، ص 14)، ويقول أنه من كثرة الذهب الذي كان يصل إلى المدينة كان من عادة بعض النسوة المحتاجات. حتى أواخر عهده إي القرن التاسع عشر. يأوين لقصر "أغلاد" وهو قصر قديم معروف بأسواقه يبكين ويشتكين الفاقة وربما وجدن لقيطا من ذهب يأتين به للمدينة ويبعنه وذلك من غرائب ذلك القصر (ابن بابا، ص 15).

وإلى جانب التجارة تشتهر تمنطيط بالزراعة في الواحات المنتشرة بها، حيث كان لكل قصر مجموعة من البساتين والفقارات التابعة له، وتشكل الفقارات المصدر الأساسي للسقي بالمدينة ومن أشهر ها: المالحة، هنو، مخلوف، مرمور، أولاد الصالح، سبخة، تكارزيت موسى، تيكوين، ترور (موساوي، 2007، ص 156)، أما من حيث المحاصيل فأهمها: التمر والقمح والشعير والبشنة وبعض الخضر والفواكه، إلى جانب تربية الحيوانات التي كانت تتم في المنازل أين كان يخصص مكان صغيرا لها، كما ازدهر بالمدينة النشاط الحرفي وخاصة صناعة الحلي والفضة، والتي كان يحتكرها اليهود، وهنا يذكر إبن بابا حيدة أنه كان بها في القرن التاسع الهجري ثلاثمائة وستون سائغا يهوديا ! (ابن بابا، ص 14) إلى جانب صناعة الفخار والجلود والنعال والخياطة وصناعة الأقفال وهي صناعات قديمة في المدينة (Malte Brun, 1866, p103).

7. اليهود في المدينة:

كونها حاضرة كبرى وسط الصحراء ومكان التقاء القوافل وأحد أهم مراكز العبور في ذلك العصر سكن المدينة جالية كبيرة من اليهود، اختلف المؤرخون في تاريخ مقدمهم للمنطقة عامة والمدينة خاصة، حيث يعتقد البعض أنهم دخلوا الصحراء منذ العهود الرومانية بسبب الاضطهاد الديني(سعد الله، 2004، ص49)، ويرى المؤرخ اليهودي يعقوب اوليل (Jacob oleil)، حيث يرى برنارد سافرو (Bernard Saffroy) أن اليهود بنوا أول قصر لهم مع معبد يهودي سنة 517م ويسمى "أولاد همال" (Bernard Saffroy, 1994, p 4). اما المؤرخ أوليل فيرى أن توات عرفت ثلاث هجرات لليهود رئيسة: كانت الأولى في القرن الثاني الميلادي، وجاءت من ليبيا إلى توات، والثانية كانت في القرن السادس الميلادي، وجاءت من الموصل ثم انضمت إليها جالية من يهود خيبر في الصحراء المصرية الليبية واتجهت نحو توات، أما الثالثة فانطلقت

في القرن السابع الميلادي من الأندلس إلى المغرب لتصل إلى توات في القرن العاشر الميلادي (Oliel, 1994, p15).

ومهما يكن من أمر قدومهم، غير أنه ومع مرور الوقت أصبح لليهود نفوذ ومكانة في توات عامة وفي تمنطيط خاصة كونها مركزا تجاريا كبيرا وهذا ما ذكره التاجر الجنوي انطونيو مالفانتي (Antonio Malfante)، الذي زار توات سنة (850هـ/1447م)، وأقام بها سنتين تقريبا في ضيافة أحد تجارها ومن تمنطيط تمكن من إرسال رسالة إلى جنوة بإيطاليا وجاءه الجواب (نياني، 1988، ص 671). وعند قدوم الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي لتمنطيط في النصف الثاني من القرن التاسع الهجري وجد أن اليهود كان لهم تأثير كبير على المدينة بسبب الثروة التي جمعوها ويؤكد هذا الرأي عند المغيلي ما ذكره مولاي أحمد بن هاشم في رحلته (1213هـ/ 1708م) والتي جاء فيها: والتي جاء فيها: "توجهت بعدها إلى زاوية سيدي بن عبد الكريم المغيلي ببوعلي، وأطلعت على عدد من كتب هذا الشيخ، وكانت كلها بخط يديه، ووجدت في إحدى هذه الكتب أنه عند وصوله إلى توات لم يجد أي سلطة في توات، بل وجد السلطة بين يد اليهود، حيث كان كل قصر يحكم من طرف يهودي، وكان اليهودي يطاع ويقدر ويحترم بعدها توجهت إلى أنجزمير" (بن هاشم، 1213هـ، ص 03، Martin,1923, p77)، ويعزز ذلك ما ذكر ابن بابا مع شيء من المبالغة انه كان بها في عهد المغيلي ثلاثمائة وستون سائغا يهوديا (ابن بابا، ص 14) وربما لهذه الأسباب وغيرها كانت ثورته ضدهم، وأمر بهدم كنائسهم وبيعهم التي أقاموها بدون وجه حق، وكان يرى أن هدمها واجب وأن المسألة ليس فيها خلافا لكن قرار المغيلي هذا لم يلقى الترحيب من الجميع بل عارضه كثيرون، وفي مقدمتهم قاضي توات آنذاك الفقيه عبد الله بن أبي بكر العصنوني ووقع بين الاثنين سجال فقهي حول هذه المسألة (الونشريسي، 1981م، ج2، ص 201 وما بعدها). وتذكر المصادر التاريخية حادثة أخرى وقعت في توات أثناء وجود المغيلي في بلاد السودان الغربي، وهي مقتل ابنه عبد الجبار على يد اليهود وأنصارهم، وهو دليل على تنفذهم ومكانتهم (التنبكتي، 1989، ص 577).

.**الأوضاع الاقتصادية للمدينة:** برزت تمنطيط كمركز تجاري ومحطة هامة وسط الصحراء ومكان التقاء القوافل القادمة من الشمال والجنوب، والشرق والغرب وتناولت الكثير من المصادر هاته الأهمية فقد ذكر ابن خلدون أنها مكان تجتمع فيه القوافل ومنه تخرج لبلاد السودان (ابن خلدون، 2001، ص 76)، وأشار لهذه الأهمية التاجر الجنوي أنطونيو مالفانتي (Antonio Malfante)، الذي وصل تمنطيط سنة850هـ/1447م، وأقام بها سنتين تقريبا، وورد على لسانه أن مضيفه في المدينة كان تاجراً غنياً، جمع كمية كبيرة من الذهب قدرها بـ

425 كلغ (نياني، 1988، ص 671) وذكر ابن بابا حيدة ان كل من عرفها من التجار كان لا يقنع إلا بسعرها(ابن بابا، ص 14)، ويقول أنه من كثرة الذهب الذي كان يصل إلى المدينة كان من عادة بعض النسوة المحتاجات. حتى أواخر عهده إي القرن التاسع عشر. يأوين لقصر "أغلاد" وهو قصر قديم معروف بأسواقه يبكين ويشتكين الفاقة وربما وجدن لقيطا من ذهب يأتين به للمدينة ويبعنه وذلك من غرائب ذلك القصر (ابن بابا، ص 15).

وإلى جانب التجارة إشتهرت تمنطيط بالزراعة في الواحات المنتشرة بها، حيث كان لكل قصر مجموعة من البساتين والفقارات التابعة له، وتشكل الفقارات المصدر الأساسي للسقي بالمدينة ومن أشهر ها: المالحة، هنو، مخلوف، مرمور، أولاد الصالح، سبخة، تكارزيت موسى، تيكوين، ترور (موساوي، 2007، ص 156)، أما من حيث المحاصيل فأهمها: التمر والقمح والشعير والبشنة وبعض الخضر والفواكه، إلى جانب تربية الحيوانات التي كانت تتم في المنازل أين كان يخصص مكان صغيرا لها، كما ازدهر بالمدينة النشاط الحرفي وخاصة صناعة الحلي والفضة، والتي كانت حكرا على اليهود، وهنا يذكر ابن بابا حيدة أنه كان بها في القرن التاسع الهجري ثلاثمائة وستون سائغا يهوديا ! (ابن بابا، ص 14) إلى جانب حرف أخرى مثل: صناعة الفخار والجلود والنعال والخياطة وصناعة الأقفال وهي صناعات قديمة في المدينة ومتوارثة وكانت لها عائلات معروفة بها (Malte Brun, 1866, p103).

. خاتمة:

وفي ختام هذه المداخلة والتي حاولنا من خلالها التعريف بحاضرة تمنطيط وهي من حواضر منطقة توات والصحراء الكبرى خرجنا بمجموعة من النتائج منها:

. تعد مدينة تمنطيط من أقدم مناطق توات عمارة وهناك اختلاف بين المؤرخين حول تأسيس المدينة بين من يعتبر أنها مدينة إسلامية أسسها اللمتون من بقايا المرابطين بعد سقوط دولتهم على يدي الموحدين، وبين من يعتقد أنها بنيت قبل الإسلام بقرون.

. احتلت تمنطيط موقعا استراتيجيا يتوسط قصور توات والصحراء الكبرى وقد أهلها موقعها هذا ليكون لها دورا كبير في تجارة القوافل العابرة للصحراء.

ورد ذكر المدينة في الكثير من كتابات الرحالة والمؤرخين مثل: ابن خلدون في كتابه العبر، اين ذكرها في عدة مواضع، و الناصري السلاوي في كتابه "الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى" كما ذكرها الرحالة جيرار رولفس، وأفرد لها أبن بابا حيدة التمنطيطي كتابا سماه "السيط في أخبار تمنطيط"

. تمتاز المدينة بكثرة قصورها وقصباتها مثل: قصر أولاد همالي، وقصر أولاد ميمون، وقصر تايلوت، وقصر (اتعالى يوسف)، وقصر أولاد علي بن موسى، وقصر بوصلاح، وقصر أولاد أحمد وقصر أولاد معمر، وقصر أولاد يحي، وقصر أولاد داوود بن عمر وغيرها وقد شيدت هذه القصور في فترات مختلفة.

. برزت تمنطيط كحاضرة علمية وثقافية انتقل إليها كثير من العلماء ممن ذاع صيتهم في المغرب الإسلامي مثل: الشيخ عيسى بن محمد البطوي الذي نزل بها سنة 714هـ/1314م، والشيخ أبو يحيى بن محمد المنياري ونزل بها سنة 815هـ/1412م، والشيخ يحي بن يدر بن عتيق التدلسي وجاء إليها سنة 845هـ/1441م، والشيخ عبد الله بن أبي بكر العصنوني وابن أخيه الشيخ سالم بن محمد بن أبي بكر العصنوني وقدما إلى تمنطيط عام 862هـ/1458م، والشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني وكان نزوله بأولاد يعقوب في المدينة سنة 882هـ/1478م، والشيخ ميمون بن عمرو بن محمد الباز وجاء إلى تمنطيط مع أبيه وأخيه التهامي نهاية القرن التاسع الهجري.

. اشتهرت تمنطيط كحاضرة اقتصادية كونها ملتقى للقوافل التجارية، وبكثرة حرفيها وتجارها كما اشتهرت بكثرة فقاراتها وبساتينها.

. كونها حاضرة كبرى وسط الصحراء ومكان التقاء القوافل التجارية جذبت إليها أعداد كبيرة من اليهود استوطنوها وهناك خلافا بين المؤرخين حول تاريخ مقدمهم هل كان قبل الإسلام أم بعده ، ومع مرور الوقت أصبحت لهم مكانة ونفوذ بسبب الثروة التي جمعوها وسيطرتهم على مجموعة من الحرف والأسواق، وهو ما جعل الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي عند قدومه المدينة يطالب بهدم بيعهم التي أحدثوها واصطدم موقفه هذا بموقف شيخ الجماعة في توات الشيخ عبد الله العصنوني مما اضطر الشيخان إلى مراسلة علماء المغرب حول هذه المسألة فيما عرف بنازلة يهود توات.

كما نخرج من هذه المداخلة بمجموعة من التوصيات منها:

- ضرورة مواصلة البحث في تاريخ المدينة وتراثها لأنها لم تأخذ نصيبها من البحث وخاصة القضايا الشائكة فيها مثل عمارة المدينة وقضية اليهود بها.

- على أصحاب الخزائن والمخطوطات في المدينة فتح أبواب الخزائن أمام الباحثين والمؤرخين للاستفادة منها لأنها تضم الكثير من المعلومات حول تاريخ المدينة وتطورها.

ـ ضرورة الاهتمام بالتراث المادي للمدينة من قصبات وقصور وفقارات ومساجد وأضرحة وحرف والعمل من أجل تصنيفها محليا ثم وطنيا ولما لا دوليا.

. تخصيص موسم ثقافي للمدينة يكون قبلة للسياح والزائرين للتعريف بالمدينة وتراثها وتاريخها وطنيا ودوليا.

. ضرورة اهتمام وسائل الإعلام المحلية والوطنية بالمدينة وتراثها وتسليط الضوء عليها بما يليق بتاريخ المدينة العريق وبتراثها المادي واللامادي.

وفي الأخير أتمنى أني أسهمت من خلال هذه المداخلة ولو بجزء بسيط للتعريف بالمدينة، وأتمنى أن تتاح لي فرص أخرى للبحث في تاريخها.

قائمة المصادر والمراجع:

. ابن بابا حيدة، محمد الطيب بن الحاج عبد الرحيم (د ت): القول البسيط في أخبار تمنطيط، تحقيق فرج محمود فرج، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية و المؤسسة الوطنية للكتاب.

. بكري، عبد الحميد(2005). النبذة في تاريخ توات وأعلامها من القرن 9 إلى القرن 14 هـ ، عين مليلة، الجزائر، دار الهدى.

. بلعالم، محمد باي (2005): الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات، جزآن ، الجزائر، دار هومه.

. البوعبدلي، المهدي (1986)، أضواء على تاريخ مدينة تمنطيط ودور الإمام المغيلي بها في قضية يهود توات، مجلة الثقافة، السنة16، العدد94، جويلية . اوت 1986، الجزائر، وزارة الثقافة والسياحة.

- التنبكتي أحمد بابا(1989). نيل الابتهاج بتطريز الديباج، إشراف وتقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة، ط1، طرابلس، ليبيا، كلية الدعوة الإسلامية.

. التمنطيطي، محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق (مخطوط) درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام، ادرار، الجزائر، خزانة كوسام.

. جعفري، مبارك (2016). مقالات وأبحاث حول تاريخ وتراث منطقة توات، ط1، الجزائر، دار الكتاب العربي.

. حجي، محمد(1977). الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، جزآن، المغرب، مطبعة فضالة.

. حوتيه، محمد الصالح، (2007). توات والأزواد، جزآن، الجزائر، دار الكتاب العربي.

- ابن خلدون، عبد الرحمان، (2001). كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تحقيق خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار، ط1، 08 أجزاء، بيروت: دار الفكر للطباعة.

. سعد الله فوزي (2004). يهود الجزائر هِؤلاء المجهولون، ط2، الجزائر، دار الأمة.

. بن سويسي، محمد (2007 . 2008). العمارة الدينية الإسلامية في منطقة توات تمنطيط نموذجا، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، إشراف الدكتور عبد العزيز محمد لعرج، جامعة الجزائر، معهد الآثار.

. بن عبد الله عبد العزيز(1976). الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية(معلمة الصحراء)، المغرب، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

. بن عبد الله نور الدين (2013). العمارة التقليدية لمنطقتي توات الوسطى والقورارة بين ضوابط النص الديني وحدود الواقع، ط1، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية.

. ابن القاضى، أبو العبّاس أحمد بن محمّد المكناسى، (1971). درّة الحجال فى أسماء الرّجال، تحقيق الدكتور محمد الأحمدى أبو النور، القاهرة . تونس، دار التراث . المكتبة العتيقة.

. الكنتي، أمحمد (1985). الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي نبذة عن حياته ومآثره، أعمال المهرجان الثقافي الأول للتعريف بتاريخ منطقة أدرار (الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي)، أدرار، 03، 04 ماي، الجزائر، ولاية أدرار.

. موساوي، عربية (2007). الفقارة بمنطقة توات وأثرها في حياة المجتمع دراسة تاريخية أثرية، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في علم الأثار، غشرف لعرج عبد العزيز، الجزائر، معهد الآثار، جامعة الجزائر.

. الناصري، السلاوي أحمد بن خالد (1955). الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، الدار البيضاء، المغرب، دار الكتاب.

. نياني ج .ت وآخرون (1988). تاريخ إفريقيا العام، المجلد الرابع (أفريقيا من ق 12 إلى ق 16)، بيروت، اليونسكو، المطبعة الكاثوليكية.

- الوازان، الحسن ابن محمد، (1983م). وصف إفريقيا، ترجمة محمد حاجي، ومحمد الأخضر، ط2، بيروت: دار الغرب الإسلامي.

. الونشريسي، أحمد بن يحيى (1981م). المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب، المملكة المغربية، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

- بن هاشم مولاي أحمد (1213ه). رحلة مولاي أحمد بن هاشم من أولاد اعمور بتيمي إلى قصر المستور سنة 1213ه/1798م، الناسخ أحمد الحبيب بن الفقيه سيدي محمد الصافي الأدغاغي، مخطوط، در، ولاية أدرار، الجزائر، خزانة مولاي سليمان بن علي، قصر ادغاغ.

– Jacob Oliel (1994) :Les juifs au Sahara, Le Touat au moyen Age, paris,Cnrs édition.

- Malte Brun (1866). Résumé Historique et géographique de l’exploration de Gerhard Rohlfs. Paris, Brum Imprime par Ethunot.

- Martin A.G.P(1923) . quatre siècles d'histoire Marocaine (1504,1904) , Paris.
- Martin Alfred - Georges – Paul (1923). Quatre siècles d'histoire marocaine au Sahara de 1504 à 1902 au Maroc de 1894 à 1912, Paris, d'après archives et documentations indigènes, Librairie Félix Alcan,